

كيف يمكن استثمار تجربة التعليم عن بعد بعد أزمة كورونا

أ.د. بدر بن عبدالله الصالح

2020/11/17

ما يحدث حالياً من تحول جارف في نظم التدريس في العالم، من تدريس في المدارس والمدن الجامعية إلى تعليم عن بعد، يمكن تفسيره في ضوء نظرية الابتكارات التعطيلية Disruptive Innovation Theory التي أقرحها كلايتون كريستنسن Clayton M. Christensen في 1995م .

تصف هذه النظرية العملية التي يبدأ من خلالها منتج ما أو خدمة معينة استخدامات بسيطة للمنتج أو الخدمة، وفي أدنى مستوى مقارنة بما هو متوافر، ثم تصعد للأعلى بلا هوادة حتى تحل في النهاية محل منتج أو خدمة قائمة؛ هذه نظرية في قطاع الأعمال والسوق.

على المدى القصير فقط، أثناء أزمة كورونا، يبدو أن افتراضات هذه النظرية، تنطبق على ما حدث عالمياً من تحول كامل من تعليم تقليدي إلى تعليم عن بعد. حالياً وبسبب الظروف الاستثنائية ونقص الخبرة، يبدو تطبيق هذا التعليم بسيطاً، ولكن يتوقع أن ينضج بسرعة لينافس التعليم التقليدي

الأمثلة على نظرية الابتكارات التعطيلية كثيرة، مثلاً حل الحاسوب الشخصي محل الحاسوب المركزي والفلوبي ديسك محل القرص المدمج والهاتف المتنقل محل الهاتف الثابت والفاش ميموري محل القرص المدمج آخ. أما التوقعات، بالنسبة للتعليم عن بعد فتختلف عن منتجات السوق، لأن نظم التعليم ترتبط بثقافات ومنظومات قيم راسخة إضافة إلى سياسات ولوائح آخ، لذا، يتوقع أن يكتسب التحول نحو التعلم الهجين hybrid أو المدمج blended (وليس التحول نحو التعليم الكامل عن بعد) زخماً بعد زوال أزمة كورونا.

إذاً نظرية الابتكارات التخريبية تصدق خلال أزمة كورونا فقط حيث حل التعليم عن بعد محل التعليم وجهاً لوجه؛ ولكن بعد الأزمة سينطبق على هذا التعليم ما يُعرف بالابتكار التطوري Evolutionary Innovation. يقصد بالابتكار التطوري Evolutionary Innovation أن الابتكار (في حالتنا: التعليم عن بعد) لن يحل محل النظام التعليمي القائم ولكنه سيحسن هذا النظام، وسيستقطب اهتماماً أكبر ليكون مقبولاً وربما يكون له الأولوية مستقبلاً أو على الأقل يكون بنفس أهمية التعليم وجهاً لوجه .

يبقى السؤال أو التحدي الكبير: " كيف يمكن استثمار التجربة الحالية في التعليم عن بعد لتأسيس تقاليد جديدة في علم التدريس، لا ليحل هذا التعليم محل التعليم في المدرسة أو المدينة الجامعية، وإنما ليكون نظاماً تعليمياً مقبولاً وموازيًا للتعليم التقليدي؟ هذا سؤال صعب وتعتمد إجابته على خبرات وتجارب علماء المجال. و من وجهة نظري ينبغي البد بتعريف العوامل المهمة أو الحاسمة في نجاح برنامج التعليم عن بُعد، وتحديد مدى جاهزيتها لهذا النوع من التعليم تشمل هذه العوامل ولا تقتصر على: العوامل الخاصة بالمؤسسة التعليمية مثل اللاتزام المؤسسي بدعم برنامج التعليم عن بعد وتوفير الدعم الفني والقيادة وصياغة السياسات وغير ذلك. كم تشمل هذه العوامل جاهزية هيئة التدريس والمتعلمين وبيئة التعلم الإلكترونية ومحتوى المقررات الرقمية، إضافة إلى قبول المجتمع وقطاع الأعمال لمخرجات برنامج التعليم عن بُعد.

